بلير في زيارة جس نبض لصالح بوش: ثمن نزع سلاح ايران سيكون انهاء الاحتلال في الضفة

■ منذ انتهت الحرب اللبنانية والدبلوماسية في المنطقة تسير في مسارين، حيث لا توجد أي علاقة بينهما. الاول يتركز في بلورة الخطة النووية الايرانية، والثاني في استئناف الحديث حول «الارض مقابل السلام» بين اسرائيل والعرب.

العملية الاولى تدور بين الدول الكبرى وبين ايران، التي تواصل عملية تخصيب اليورانيوم في عشرات المرافق ولا تأبه لقرارات مجلس الأمن. واسرائيل البعيدة عن ذلك نظريا: حيث أن زعماءها يُذكرون من حين لآخر بالتهديد القائم من جانب ايران، ولكن لكونهم مشغولين جدا بالواقع السياسي، فانهم لا يخصصون له الوقت اللازم الضروري. «الهيئة السياسية الخاصة»، التي أقامها اهود اولمرت وأعلن عنها بصوت عالٍ كرد على الجدية في الموضوع وأهميته بالنسبة لاسرائيل، عقدت اجتماعها الاول.

الاحتمال لاستئناف المسيرة السياسية، والتي تأخذ حيزا في المباحثات الدائرة في القاهرة، ودمشق وغزة، ولدّ نقاشات حادة داخل اسرائيل. هناك من يريد أن يتحدث مع الفلسطينيين فورا (تسيبي لفني)، ومع سورية (عمير بيرتس وآفي ديختر)، ومع اللبنانيين (اولمرت)، ومع الجميع (يوسي بيلين)، وحتى يوجد من لا يريد التحدث مع أحد (بنيامين نتنياهو)، لذلك فان النقاش الدائر والمستمر، وكأن جميع الأوراق في أيدينا. هذه الامور تُسهم بالتأكيد بأن الحرب اللبنانية والمعارك الدائرة في غزة وضعت حدا للانسحاب من المناطق، وعلى الأقل حتى «لا يوجد من نتحدث معه» ولا يوجد بديل أمني للسيطرة والمسؤولية في المناطق، وفي الجولان. ولكن الواقع في المنطقة معقد أكثر بكثير من ذلك، وكلما كانت الولايات المتحدة بعيدة ومنشغلة في المواجهة مع ايران، فان المطالبة بالانسحاب الاسرائيلي من المناطق تقوى ايضا، واسرائيل حتى الآن تدعي، بأن ايران هي «مشكلة العالم وليست مشكلة اسرائيل وحدها»، ولكن التجربة تعلمنا بأنه لا يمكن الحصول على وجبات مجانية، وفي كل مرة تعمل فيها الولايات المتحدة في هذه المنطقة، وتحتاج الى الشرعية العربية التي تتوفر لها، فانها تطلب من اسرائيل هذا المقابل.

في سنة 1991 هاجم الامريكيون العراق من اجل تحرير الكويت، وتكلفة تلك الحرب لم تكن لها علاقة باسرائيل، ولكنها مع ذلك خرجت، أي اسرائيل، من هذا الحطام العسكري لصدام حسين بأن تحملت سقوط الصواريخ العراقية والكيماوية عليها، وأن ادارة بوش الأب حصلّت ثمن ذلك بانعقاد مؤتمر مدريد، الذي أدى في نهايته الى اتفاق اوسلو، والسلام مع الاردن، والدخول في مفاوضات مع سورية.

12 عاما بعد ذلك عادت الطائرات الامريكية الى سماء بغداد؛ وهذه المرة أرسلها بوش الابن. وحينذاك كان الدافع العالمي، واسرائيل وقفت الى جانبه وأيدته، هو ضرورة ايجاد واقعية جديدة مما اضطرها الى دفع ثمن محدد «خريطة الطريق»، وكذلك بالاندفاعة التي كانت سائدة آنذاك في بناء المستوطنات التي هي خارج الجدار، وبمواصلة الانسحاب من غزة ومن شمالي الضفة. يمكن ملاحظة، أنه في هذه المرة ايضا توجد علاقة ما بين المشكلة العالمية ومشكلة محلية صغيرة، فثمن المعالجة العسكرية أو السياسية للمفاعلات الذرية الايرانية، سوف يُطلب من اسرائيل من خلال اخلاء مستوطنات اضافية في الضفة، ويمكن كذلك اخلاء بعضها من الجولان. وكما كانت الحال في حروب الخليج السابقة، ففي هذه المرة سيشرحون لاسرائيل بأن عليها أن تدفع ثمنا ما في المناطق مقابل إزالة هذا التهديد عنها.

الفرق الجوهري بين الحال السابقة وبين الحال التي نراها الآن والذي تواجهه القيادة الاسرائيلية، فبدلا من وجود اسحق شمير واريك شارون اللذين كان توجههما ضد الانسحاب وضد الاخلاء، اليوم يوجد في القيادة الاسرائيلية اولمرت، الذي اقترح اخلاء 90 في المئة من الضفة الغربية دون أي مقابل، فلماذا يعارض اخلاء مستوطنة ايتمار مقابل انضمام اعضاء جدد لائتلافه؟ ولماذا ايضا ظل اولمرت في السلطة حتى الآن بينما يطالب الآخرون بضرورة استبداله لأن هذ الاستبدال يهُون عليهم العملية التي يريدونها خلال وجوده في السلطة، والذين سيواجهون بمطالب اخرى، فنتنياهو مثلا يطالب بأن يضع جانبا عمليات اخلاء المستوطنات وأن يتركز فقط في الموضوع الايراني، ولكنه هو شخصيا سيبدي مزيدا من الليونة اذا ما وصل الى السلطة بدوره.

بعد غد سيزور اسرائيل طوني بلير، وهو بزيارته سيقوم بعملية جس نبض لصالح جورج بوش ولغيره من المشاركين معه في غزو العراق من اجل الاعلان عن «خريطة طريق» للدولة الفلسطينية حيث كانوا أعلنوا عنها في السابق، وبعد أن يتبادل مع اولمرت وجهات النظر والآراء السياسية فانهما بالتأكيد سيتوصلان الى خط سياسي مهم لكي توضع الأمور في نصابها ويتم الربط ما بين المطلب الدولي بتخليص ايران من قوتها النووية وما بين تخليص المناطق من السيطرة الاسرائيلية.

توني بلير

ألوف بن
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) - 2006/9/7

طالبوه وحركته بالتنديد بقتل المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين

رسالة اصلاحيين امريكيين لزعيم الحركة الاصلاحية اريك يوفا تثير القلق

■ أرسلت جماعة اصلاحيين امريكيين شبان من وقت غير بعيد رسالة الى الزعيم الاصلاحي، اريك يوفا، طلبت فيها أن «تندد الحركة بمقتل مواطنين لبنانيين وفلسطينيين غير مسلحين على أيدي الجيش الاسرائيلي، والهجمات الموجهة الى بنى تحتية مدنية، التي عرضت للخطر حياة آخرين وجعلت جهود الانقاذ صعبة».

إن طلاب الثانويات والجامعات، الذين كتبوا الرسالة، بين المعروفين من شبان يهود امريكا. إن أكثر من 50 في المئة من يهود الولايات المتحدة غير متصلين بأي تيار. هؤلاء الكُتاب يعرفون على الأقل اسم يوفا، بل إن الحركة الاصلاحية تعترف بهم اعترافها بـ«قادة شبان».

إن التفكير بأن كُتاب هذه الرسالة يمثلون مستقبل يهود امريكا غير الارثوذوكس، يفترض أن يثير قشعريرة جميع القلقين على مستقبل علاقات اسرائيل بالشتات. تندد الرسالة بكل قتل لمدنيين على أيدي الجيش الاسرائيلي. ليس في هذا موقف اخلاقي جدي. لا يُبين المؤلفون كيف يجب على اسرائيل أن تدافع عن نفسها في وجه صواريخ القسام من غزة أو صواريخ الكاتيوشا من لبنان من غير أن تخاطر بقتل مواطنين، مع افتراض أن هذه الصواريخ تُنصب وتطلق من مناطق مدنية.

هل يظنون أن تأييد «مبدأ التفاوض من اجل السلام» يحل المشكلة؟

ترى الحركة الاصلاحية نفسها وريثة لـ«التراث الديني». في واقع الأمر، يفصح الامر عن نفسه في الأكثر بموقف ما، هدفه الوحيد تصديق احساس الناطق فيما يتعلق بمشاعره الاخلاقية، بغير صلة تقريبا بالواقع الذي تتم فيه الاختيارات الاخلاقية. إن هذه الرسالة مثال حسن على ذلك.

تعالوا نمضِ على هدي بيت هيلل، ونفترض أن كُتاب الرسالة لم يقصدوا إلا الى التنديد باسرائيل لانها تأخذ بسياسة صارمة، أو غير تناسبية، بشأن قتل المدنيين. حتى لو كان الأمر كذلك فان رسالتهم لا تكون أقل إقلاقا، لأن فحواها أن مصدر معلوماتهم الرئيسي تقارير منظمات مثل هيومن رايتس ووتش أو الـ سي.ان.ان، وأنهم لم يُجهدوا انفسهم لقراءة تحليلات تقارير ووتش بقلم الاساتذة ايلين دارشوفيتس من هارفرد وجيرالد ستاينبرغ وآفي بيل من جامعة بار ـ ايلان، وكلها مقالات عتيدة بالانكليزية.

والاسوأ من ذلك أنه يُفهم من الرسالة أنه تنقصهم المشايعة الأساسية لاخوتهم اليهود في اسرائيل، وأنهم غير مستعدين أن يدعوهم يستمتعوا بالشك. يُقيم لبنان في وجه يهود الولايات المتحدة نفس الامتحان الذي أقامته عملية «السور الواقي» قبل اربع سنين. آنذاك ايضا كان الاعلام العالمي مليئا بالاتهامات بسبب مجزرة اسرائيلية وقتل الشعب في جنين. في نهاية الامر تبين أن هذه الاتهامات مختلقة. كان يستطيع كل ذي عقل استخلاص ذلك من عدد جنود الاحتياط الاسرائيليين الذين قُتلوا في بيوت مفخخة، لأن اسرائيل رفضت أن تفعل ما كانت ستفعل كل أمة اخرى في وضع مشابه ـ أن تهدم البيوت من غير أن تُعرض جنودها للخطر. وهذا ما حدث في لبنان ايضا. فهناك قُتل عشرات الجنود الاسرائيليين، لان اسرائيل رفضت أن تُسوي بالارض أهدافا شكّ في أنها لحزب الله في مناطق مدنية.

على الأقل كان يمكن توقع أن يخفق في قلوب القادة الاصلاحيين الشبان شعور مشايعة اخوتهم اليهود في اسرائيل، وأن يثير فيهم ذلك شكوكا تتعلق بدعوى عدم الاكتراث المجرم لاسرائيل بحياة المواطنين.

أخاف أن تكون المشايعة الأعمق للكاتبين هؤلاء مشايعة سلبية. أتخوف أن تتم المماهاة بينهم وبين اسرائيل في حرمهم الجامعي. هذا مكان حقيقي للقلق.

يونتان روزنبلوم
(معاريف) - 2006/9/7

وجود اصوات تتعالى في اسرائيل للاستعداد لحرب قادمة في لبنان يثير الدهشة

خطط للمستقبل ضرورة واقعية وقادة اسرائيل مطالبون ببناء رؤيا سلام

■ إن الاستعداد الكاسح عند الجمهور لحرب اخرى في لبنان يثير الدهشة، ويجب أن يثير سؤالا: لماذا يكون الرد على فشل عملية سلمية «تنبها» من السعي الى السلام، في حين أن الرد على فشل الحرب رغبة في حرب اخرى لا تنبه من خيار الحرب؟.

كيف يكون جمهور كامل مستعدا لأن يتقبل كمفهوم ضمنا قتل الحرب القادمة، في حين أن الحداد على ضحايا الحرب السابقة لم يعدُ أن بدأ؟ كيف يتم قبول التصريحات عن الحرب القادمة بمشايعة، في حين أن التصريحات عن الرغبة في السلام تُرفض باحتقار بل بكراهية، بعد ايام معدودة من حرب فاشلة؟ لماذا لا يكون الرد على عملية سلام فشلت «يجب أن نستعد للدورة القادمة من محادثات سلمية أفضل»، في حين أن الرد على حرب قد فشلت هو أنه يجب الاستعداد استعدادا أفضل للحرب القادمة؟.

من الواضح للجميع أن ثمن الحرب لا تمكن موازنته بثمن فشل عملية سلمية، لأن الثمن الأبهظ الذي قد يكون لفشل كهذا هو امكانية الحرب. لو كنا أجرينا حسابات عقلانية للكلفة ـ الفائدة، لكان الاستنتاج الملح أن نحاول اجراء دورات اخرى من المحادثات السلمية، والامتناع قدر الامكان عن الحرب، وبخاصة بعد حرب فشلت.

إن التعبير الفظيع الذي أصبح جزءا من الخطاب العام في هذه الايام، «دورة اخرى»، يُعبر هو ايضا عن مآسي الحرب. رغم أن استعمال كلمة «دورة» يحاول أن يصف الحرب كمعركة ملاكمة، فان فيه تلميحا الى دورية لانهائية والى حقيقة أن الضربة لا توجه فقط الى جهة واحدة، بل الحديث عن ألم يكون الجانبان فيه مضروبين.

يوجد لهذه الظاهرة من عدم التوازن بين الاستعداد لدفع ثمن باهظ للحرب وبين النكوص عن جُهد من اجل السلام تفسير نفسي معروف: الخوف من خيبة الأمل. عندما نتوقع حدثا ايجابيا ما ولا يحدث، نشعر بألم الخيبة. خيبات الألم المتكررة تسبب لنا أن نخاف من مجرد وجود توقعات جيدة، لأن التوقع نفسه علامة على خيبة الأمل – التي ستأتي بالتأكيد.

إننا نفضل أن نستعد لاسوأ الاحتمالات، بشرط ألا نشعر مرة اخرى بألم خيبة الأمل. إن الاستعداد للسيء يمنحنا وهم السيطرة والاستعداد، في حين أن الأمل بالجيد يخلق الشعور بأننا مُعرضون لخطر السقوط.

سيصف المتشائم نفسه دائما أنه واقعي، ويستطيع بسهولة أن يعرض المتفائل كواهم، لكن الحياة توضح أن من يُجابه الواقع مجابهة أفضل هو المتفائل خاصة، ذو الرؤيا، الذي لا يخاف خيبة الأمل.

فاز البروفيسور دانيل كهانمان بجائزة نوبل في الاقتصاد عن بحث بيّن ظاهرة مشابهة في مجال اتخاذ القرارات في الاقتصاد. برهن كهانمان على أن الخوف من الخسارة أكبر كثيرا من الرغبة في الربح. أي أن الحافز الذي يدفع الناس هو الرغبة في الامتناع عن الخسارة أو خيبة الأمل.

عندما يوجد خوف من حرب في المستقبل، يصد الناس عمن يريد أن يخلق عندهم توقعات سلام، لأن مجرد وجود التوقعات يُنذر بخيبة الأمل المتوقعة. انهم يفضلون ناشري الوعود بالحرب. انهم يستطيعون فقط أن يعدوا بأن ننتصر على الأقل في المستقبل الفظيع للحرب التي ستأتي لا محالة.

الأنباء الجيدة هي أنه يمكن تعليم الناس ألا يخافوا توقع الخير. في أزمان اليأس والخوف يكون هذا الأمر مهمة القادة. يجب أن يمتلكوا الشجاعة لنصب رؤيا سلام، تعطي للناس اتجاه السعي اليها وضمان أنه يمكن الخلاص من الوضع الحالي. إن الاستعداد للحرب التي قد تنشب في المستقبل ضرورة واقعية، لكنه ليس رؤيا تدفع الناس الى الأمام.

يُطلب الى قادة اسرائيل أن يتغلبوا على الخوف من توقعات مستقبل أفضل، وأن يقيموا بازاء الاستعدادات للحرب رؤيا السلام.

أمنون طوليدانو
خبير نفسي يعمل مستشارا لشركات ومديرين
(يديعوت احرونوت) - 2006/9/7

برنارد لويس: احمدي نجاد وجماعته يؤمنون بقرب ظهور المهدي والمعركة الاخيرة

ايران لا تريد تدمير اسرائيل وامتلاكها سلاحا نوويا للردع فقط

■ طوال أكثر من اربعة عقود من الحرب الباردة مُنعت الابادة الجماعية للناس بسبب الرادع الديني بين الدولتين الأعظم في العالم. الاستقرار الاستراتيجي ارتكز على ميزان من الردع والخوف مما يمكن تسميته «التدمير المتبادل الأكيد». لكل واحد من الطرفين يوجد مخزون كبير يُمكّنه من أن يفاجئ خصمه ويهاجمه في كل لحظة بأسلحته الذرية التي يمتلكها، ولكن ما يتبقى في أيدي الطرف المهاجَم من القنابل يمكن أن يهاجم به الاول ويُدمره بصورة تامة.

نظريات الردع النووي، التي تطورت بالأساس من قبل الاكاديميين الامريكيين، دخلت عليها الكثير من التغييرات منها الطفيف والآخر الأكثر عمقا خلال السنوات الاربعين، والى أن تطورت بوسائل اخرى منذ سنوات الستين وحتى الآن، وخصوصا من قبل وزير الدفاع الامريكي روبرت ماكنمارا، ومع ذلك، ومنذ اللحظة التي نجح فيها ماكنمارا باقناع القيادة السوفييتية بأن الشيء الأفضل للطرفين هو الكشف عن القوة التدميرية الكاملة التي لديهما، هو الذي أوصلهما الى لحظة يعتبر فيها الردع استقراراً. فمنذ ذلك الوقت تحولت النظرية الى حجر الأساس للردع النووي الذي أسس واستمر طوال هذه العقود مخيما على العالم.

انضمام دول اخرى الى النادي النووي لم يؤد الى إحداث تغييرات في هذه النظرية، بريطانيا، فرنسا والصين لم تدخل في هذا النادي بالتحدي، وكان واضحا بأن المخاوف من الدمار الشامل من قبل الاتحاد السوفييتي (في حالة بريطانيا وفرنسا) أو من قبل الولايات المتحدة (في حالة الصين)، فان هذا يردعهما من استخدام السلاح النووي.

التجارب النووية التي قامت بها الهند والباكستان منذ شهر أيار (مايو) 1998 أوجدت مخاوف لتغيير النموذج القائم على أساس الردع المتبادل بين الدولتين. الحديث يدور عن فوارق ثقافية بين الدولتين، وعلى التركيبة الدينية في الصراع الدائر بينهما وعلى التطرف الباكستاني. وهنا، وبعد مرور سنة، نشب بين الدولتين، الهند وباكستان، صراع، عرف باسم «ازمة كرغيل»، والذي هدد في ايصالهما الى مرحلة الحرب. واتضح بالتحديد هنا أن السلاح النووي الموجود لدى الدولتين أدى الى تهدئة القيادتين. والخوف من التدهور في تلك الازمة الى حرب نووية منع التصعيد بينهما.

أزمة كرغيل عززت النظرية التي تقول بأن زعماء الدول التي تمتلك الاسلحة النووية يمتنعون عن استخدامها أمام الدول النووية الاخرى. وهذا أمر مختلف تماما، لأن نظرية كهذه ووجهة نظر من هذا النوع، هي ما هي ديانة هؤلاء الزعماء وما هي نظرتهم للعالم. الخوف من الدمار الشامل لدولتيهما، بل ومن الأقرب لذلك موتهم جميعا، هو الذي يردعهما. القائد لا ينتحر مع دولته، ولا توجد لأي دولة مصلحة قومية كهذه أن يكون امتلاكها للسلاح طريقا للانتحار والصراع عليه مع الخصوم.

هذا التفكير، الذي بموجبه السلاح النووي هو الرادع الفوري، هو الذي أوصل دافيد بن غوريون الى أن يقود اسرائيل الى برنامجها النووي. وكذلك زعماء بعض الدول العربية المتطرفة جدا، التي تتطلع الى تدمير اسرائيل، يرتدعون من تحقيق واثبات غضبهم، اذا فهموا بأنه يوجد في أيدي اسرائيل سلاح نووي. ودروس الحرب الباردة أثبتت أكثر نظرية ووجهة نظر بن غوريون، وأوضحت بأنه في لحظة الحقيقة فان السلاح النووي الاسرائيلي سيردع كل من يتطلع الى تدمير دولة اسرائيل.

وهنا جاء البروفيسور برنارد لويس، من كبار المستشرقين في العالم، ومن الذين لا يعتقدون بصحة تلك المرحلة وباحث متخصص في الشرق الاوسط، حيث يقول بأن ما كان صحيحا في مرحلة الحرب الباردة، هكذا يحدد لويس، لا ينطبق على ايران، «يوجد فرق متطرف بين ايران والحكومات الاخرى التي تمتلك اسلحة نووية»، هكذا كتب لويس في صحيفة «وول ستريت جورنال» بتاريخ 8/8. «الفرق هو في وجهة النظر والاعتقاد للزعماء الحاليين الموجودين في ايران، التي تظهر بوضوح في خطاباتهم، وفي المقالات، بل ايضا في الكتب الدراسية، والتي تتبلور منها سياسة محمود أحمدي نجاد. الكتب الدراسية في ايران التي تفرض على مواطني الدولة الشبان الاستعداد للصراع العالمي النهائي ضد العدو الظالم، الولايات المتحدة، واعداد أنفسهم من اجل الفوز بالموت المقدس».

استنتاجه هو أنه اذا كان في أيدي ايران سلاح نووي، فان زعماء هذه الدولة لن يجلبوا على أنفسهم الخراب، لذلك فان قسطهم كزعماء للدولة النووية سيُخيف الدول الاخرى بالتأكيد. ولكن هناك خوف كبير، هكذا يكتب، أنه بعد تزودهم بالقنابل النووية، أن يقوموا باطلاقها تجاه اسرائيل. «هجوم مباشر على الولايات المتحدة»، هكذا يحدد لويس، «هو أقل احتمالا في المستقبل القريب. واسرائيل هي الهدف الأسهل والأيسر لايران، ونجاد سبق وأن أثبت ذلك بتفكيره وبتصريحاته المشابهة».

يتعامل لويس مع ادعاءين منفصلين آخرين يقودهما اشخاص آخرون ممن يؤكدون امكانية الردع الموجودة والتي يمكن أن تُستخدم بواسطة القوة الايرانية الذرية. الاول هو حقيقة أن هجوما يمكن بواسطته محو دولة اسرائيل عن الخارطة سوف يؤدي تلقائيا الى دمار الفلسطينيين، والثاني هو الخوف من أن هجوما ذريا على اسرائيل سيؤدي الى ردود جدية وفاعلة من قبل اسرائيل، وهذا ما يمكن أن يؤدي الى اتخاذ الكثير من الخطوات الأولية لدى اسرائيل لأن تقوم هي بانزال الضربة القاتلة الاولى.

أما بالنسبة لامكانية تحقيق الدمار لاسرائيل، فسوف يؤدي الى موت ملايين الفلسطينيين، هكذا يقول لويس، على سبيل المثال فان انفجار السفارات الامريكية في كينيا وتنزانيا على أيدي عناصر القاعدة عام 1998، تلك العمليات التي أدت الى موت الكثير من الدبلوماسيين الامريكيين ومئات القتلى المسلمين هناك، ويكتب ايضا: «دائما يكون واضحا أنه للارهابيين العاملين باسم الاسلام لم تكن أمامهم أي عقبات، بل ايضا وعلى ضوء الاحتمالات بامكانية قتل أعداد كبيرة من الإخوة المسلمين، التي تعني أن «إن الله يعرف ما له»، تستخدم هناك بطريقة لتوضيح الامتناع والتوقف في هذه الحالة، وتفسير ذلك أنه في الوقت الذي يكون فيه الكفار، غير المسلمين، في طريقهم الى جهنم. فان المسلمين يكونون هم في طريقهم الى جنة عدن. وحسب وجهة نظرهم فان الارهابيين يقومون فعليا بخدمة هؤلاء الضحايا المسلمين».

الردع الكامن في العنصر الثاني هذا ـ الخوف من رد اسرائيلي مُدمر ـ «ضعف بشكل كبير بسبب التعقيدات التي خلفها الوضع الحالي في أقسام كثيرة من العالم الاسلامي»، وهذا التعقيد أصبح مهما للغاية في هذه الايام، كما يكتب لويس، بسبب الرؤية الشمولية للقادة الايرانيين، فلدى المسلمين الشيعة الحديث يدور عن رؤيتهم لظهور الأئمة المختفين، والذين لدى ظهورهم، الذي ينتظرونه يوميا، فان العودة ستكون للانتصار النهائي لقوى الخير على الشر. أحمدي نجاد ومؤيدوه، هكذا يكتب لويس، يؤمنون بالتأكيد بأن الوقت لهذا الصراع الشمولي قد حان وقته، وأن الوقت قد بدأ وأصبح في مراحله المتقدمة.

«في هذا السياق»، يقول لويس، «الردع الكامن في هذه الفكرة، التي عملت بشكل أساسي في هذه الايام تعني، أنه في نهاية هذه الايام سيكون بالتأكيد عملية دمار كاملة. والشيء الذي يُغير في وجهة الهدف النهائي هو الذي يعني كيفية مسار الموتى، فالكفار الى جهنم والمسلمون المؤمنون الى الجنة. الى هنا كانت هذه النظرية الشمولية التي يتحدث عنها لويس، والمخيفة، ولكن ليس باعتراف كبير، مثل هذا التصور لدى لويس الذي يرتكز على الأبعاد المنطوية على الحوادث الشخصية لبعض المتحرين ولو كانت على صعيد قومي، إلا انها تختفي من التجربة التاريخية ولا تجد مكانا لها لدى الزعامة الايرانية في الصورة الاجمالية السابقة.

حتى ما قبل بضع سنوات قوبلت نظريات لويس على أنها ممكنة وصحيحة، وأنها قاعدة يمكن الاعتماد عليها لبلورة السياسة الامريكية في الشرق الاوسط. إلا أنه، وبعد أحداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر)، والتي في أعقابها «تخلى عن الحذر الاكاديمي»، كما يقول منتقدوه، فان وجهات نظره في الخلاف الحاد تسود بين المستشرقين. لويس كان من الأوائل الذين ضغطوا على الادارة الامريكية للخروج في مواجهة مسلحة ضد صدام حسين في أعقاب تدمير البرجين التوأمين، ولويس كان يشكل ثقلا كبيرا في القرار السابق وللحرب سنة 2003، وأن نظريته اعتبرت من الاسباب التي دفعت الى اقامة نظام ديمقراطي فيما بعد في العراق.

ودون الدخول الى جدل بين لويس ومنتقديه، فمن الواضح أن وجهة نظره والتطورات التي تشهدها هذه المنطقة تواجه صعوبات كبيرة في الأفكار والدراسات الحالية، وعلى ارضية كهذه يجب فحص النظريات الشمولية لدى الايرانيين. لويس يقطع بأنه باسم الارهابيين المسلمين كان يمكن القيام بعمليات لضرب أهداف غربية من خلال المعرفة بأنهم سيقتلون أعدادا كثيرة من المسلمين، والقادة الايرانيون هنا لن يترددوا بضرب اسرائيل حتى لو أدى ذلك الى مقتل ملايين المسلمين، وهذا معنى ينطبق على التفكير الفردي وكذلك القومي، الذي لا يلقى الكثير من التأييد، ولا يثير الكثير من الضغط حول قرارات القيادة الوطنية هناك.

تجربة الماضي تُعلمنا بأن القيادة الايرانية المتطرفة، بزعامة المتطرفين وعلى رأسهم أتباع الخميني، تصرفت بواقعية واضحة في اللحظات الحقيقية أثناء الازمات. هكذا وجدنا ذلك خلال الحرب الايرانية العراقية، حيث أعلن الخميني بأنه لن يوقع أبدا على اتفاقية وقف اطلاق النار مع العراق، إلا اذا استسلمت الأخيرة، إلا أنه، وبعد عشرات الصواريخ العراقية التي أصابت طهران وآلاف المواطنين الايرانيين القتلى والمصابين، غير الخميني موقفه ووقع على اتفاقية وقف اطلاق النار مع صدام حسين، ففي حادثة كهذه كانت الصواريخ التقليدية هي التي حددت مسار الحرب، وهي التي حاليا، تهدد اسرائيل مع أن الخوف الأكبر هو أن تتحول الى صواريخ تحمل رؤوسا نووية.

لا يوجد أي معطيات لمصلحة قومية ايرانية تؤكد أن دماراً كاملاً يحل بايران، يمكن أن يكون مبررا لضرب اسرائيل، هكذا يدعي لويس، لأن تصديق حقيقة تدمير ايران يمكن أن ترتكز عليها رؤيا جديدة وشاملة للعالم مع أن الموضوع قد اختلف من ناحية وجهة النظر الايرانية، وعلى الرغم من كونهم مسلمين، فانهم لا يختلفون أساسا عن البنية المعروفة للانسان في هذا العالم.

الردع المتبادل سيكون مرتكزا على عموميات اللعبة الجديدة، التي بها تحدد الخطوط الحمراء التي تضعها اسرائيل أمام ايران. وعلى سبيل المثال، سيكون من الواضح لايران أنه في اللحظة التي يسقط فيها صاروخ موجه منطلق من ايران، فان اسرائيل ستفعل بشكل فوري ما في استطاعتها ودون انتظار حتى لسقوط الصاروخ ومعرفة ما اذا كان تقليديا أم نوويا، وبالاضافة لذلك، سيكون واضحا لايران أنه في حادثة تصاب فيها اسرائيل فانها، أي الأخيرة، ستطلق صواريخها دون أن تنتظر للاستيضاح ما هي طبيعة رأس هذا الصاروخ، والآن يبقى في أيدي اسرائيل ما يكفي من الصواريخ الذرية التي يمكنها أن تُدمر ايران بكاملها.

رؤوبين بدهتسور
كاتب دائم في الصحيفة
(هآرتس) - 2006/9/7

برنارد لويس

احمدي نجاد

قدرات الردع للجيش تلاشت امام عقلية استشهادية عند العدو

■ يُبين تصوير وضع الجيش الاسرائيلي اليوم جيشا هجوميا بيّنا. فطائراتنا مخصصة لاعمال في حدود الممكن التكنولوجي. ودباباتنا المدرعة كأنما تستعد لتحتل ستالنغراد. بمقابلة ذلك، صواريخنا المضادة للطائرات وللدبابات قديمة ولا نملك دفاعا مضادا للصواريخ البالستية البتة. تقول الأراجيف اننا نملك قدرة نووية – عسكرية، هي بمنزلة الهجومية المفردة. اذا ما سألتم مخططي الجيش الاسرائيلي ما هي الحكمة من وراء هذه الصياغة، فسيردون عليكم ببساطة أن هدفها ردع أعدائنا عن ابادتنا. هل تُحرز هذه النية الحسنة غايتها أم أنها تمهد الطريق الى جهنم؟.

الردع أو «ميزان الرعب»، يعني ضمان ضربة ردعية و/ أو ضربة رد. ولكن الضربة الردعية ليست في الحقيقة خيارا لشعب سوي العقل مثلنا، عندما يكون العدو جزءا حيويا من سكان مدنيين. في الحالات القليلة في الماضي، التي طُلب فيها في ظاهر الأمر ضربة ردعية نووية، لم تُستعمل. ينبغي أن نفترض أن نبقى أسوياء العقل بما يكفي في المستقبل ايضا، بحيث لا نستعملها أبدا. بكلمات اخرى، «من قام ليقتلك بكرٍ الى قتله» لم يعد قابلا للتطبيق بالقياس الينا.

من جهة اخرى، الفاعلية الردعية لضربة الرد تلاشت هي ايضا بازاء عقلية استشهادية عند العدو. ستكون في مناخ نووي انتقاما لاسمه، يأتي في اثناء القضاء السريع علينا والمضمون، وستدفع ايضا الى حرب عالمية نووية.

فما الذي يُسهم به توجهنا الهجومي اذن؟ خلص كل عاقل في العالم منذ زمن الى استنتاج أن اسرائيل كيان عدواني في ماهيته. ومن هنا تأتي مشروعية التسلح النووي لكل طالبي الشر لنا في المنطقة. بعد ذلك يمكن أن تحدث المأساة اليونانية للشعب اليهودي اذا لم نبدأ في التفكير تفكيرا صحيحا وبسرعة. ما يمكن أن يحدث هو أن يأخذ كارهونا غير الأسوياء على أساس الصورة العدوانية التي اكتسبناها بقاعدة "من قام ليقتلك بكرٍ الى قتله"، لأن بعضهم ليس له أي رادع عن قتلنا جميعا – وفي ضمن ذلك الشيوخ والنساء والاطفال. إن البدء بالتفكير السوي يعني أن نحول جميع كتلتنا العضلية الى الدفاع. يجب القضاء على جميع طائرات الهجوم، ما عدا بعض المروحيات القتالية وعدد من الطائرات الحربية لأهداف حراسة شرطية. ينبغي بناء نظام مضاد للطائرات والصواريخ منشور، ومتحرك وذي طبقات ناجع (على عكس حيتس). ويجب تحويل صورة جميع المدرعات ما عدا طرز توضع في متحف اللطرون. وكذلك ايضا مع المدافع الرفيعة. يجب بناء نظام مضاد للدبابات ومضاد للسفن ناجع متعدد الطبقات على امتداد الحدود. يجب القضاء على الغواصات، والابقاء على بوارج حربية وسفن صغيرة كخط دفاعي عند الحدود البحرية.

الى الآن كنا هنا داود بازاء جالوت. من هنا فصاعدا يجب التحصن بالقوة والحكمة، والاستعداد لحصار متواصل. الأنباء الجيدة هي أنه مع التحول الى الدفاع ستوجه مليارات كثيرة الى التربية، والرفاهة، والصحة، وجميع الاشياء المهمة التي أُهملت هنا في السنين الأخيرة.

موطي شيفر
(يديعوت احرونوت) - 2006/9/7

في حكومة يترأسها باراك او نتنياهو... موشيه يعلون سيكون وزير دفاع ناجحا

تسليم محور فيلادلفيا للمصريين ادى لفشلنا بحرب الانفاق ضد الفلسطينيين

■ ازمة القيادة في اسرائيل عميقة جدا الى حد أن الناس يتوجهون حيارى ها هنا وها هنا آملين أن يجدوا زعيما طاهر اليدين ذا تجربة أمنية ليُعيد بناء الدولة، ويُعدها لتهديدات الابادة التي تبثها ايران.

وهكذا يوجد من يتعلقون، في المدة الأخيرة، برئيس الاركان السابق موشيه يعلون، هل سيدخل الساحة السياسية؟ الى من سينضم؟ لكن المُخلص لن يأتي. لن يكون يعلون هو المُخلص. انه انسان كثير الايجابية، لكن من يراه زعيما وطنيا قادرا على اخراج الدولة من الوحل لا يعلم ما الذي يقول. يعلون انسان مسؤول جدا في المجال العسكري والأمني، وقد بذل في ذلك أكثر سنيه في عمليات عرض فيها نفسه للخطر.

قبل ما يزيد على اربع سنين احتار ارييل شارون، الذي كان رئيس الحكومة آنذاك، من يُعين لرئاسة الاركان ـ بوغي يعلون أم القائد اللامع لسلاح الجو دان حلوتس؟ أجبته، في ضوء الحرب الشديدة ضد الفلسطينيين، انه يحسن في رأيي تفضيل ابن القوات البرية ذي الخبرة يعلون، وحلوتس ذو الأهلية يستطيع أن يعمل نائبا لرئيس الاركان وأن يحشد خبرة في مجال استعمال القوات البرية ايضا. لا يجوز التخلي عن تجربة يعلون في عمليات خاصة في هذه المرحلة من حرب المنتحرين، قلت لشارون. سيكون يعلون وحلوتس فريقا ممتازا يُكمل بعضه بعضا.

بعد مضي بضعة اسابيع هاتفني شارون وقال لي، بعدم رضى: «سيكون يعلون رئيس الاركان. لن يكون أي تغيير في الجيش الاسرائيلي». أي أن رئيس الحكومة تحدث كمن لم يكن لديه خيار، سوى إجازة هذا التعيين. لكن شارون لم يؤمن بأن يعلون سيستطيع أن يُحدث ثورة في الجيش الاسرائيلي، كان يحتاجها جدا. كان شارون أكثر من مرة خائب الأمل من مستوى تنفيذ الجيش الاسرائيلي، حتى لقد عاد وقال لي: «ليتني كنت استطيع أن اكون اليوم قائد سرية في الجيش الاسرائيلي، وأن اشارك في حصار مقاطعة عرفات».

في مرة اخرى، عندما فشل الجيش الاسرائيلي فشلا شاملا في محاربة أنفاق التهريب الفلسطينية في محور فيلادلفيا، قال لي شارون ببسمة مُرة «إن رئيس الاركان يعلون يطلب أن يهدم نحوا من ألفين أو اربعة آلاف بيت في رفح، ويبحث من اجل ذلك عن تأييد قانوني. من ذا يعطي الجيش الاسرائيلي خدمة قانونية كهذه، في نظامنا القضائي الذي يؤيد حقوق العرب قبل كل شيء؟»، قال شارون لي مُهيجا.

إن النتيجة الفظيعة لفشل قيادة الجنوب وهيئة الاركان العليا في حرب الأنفاق ليست فقط بالذكرى المأساوية لاختطاف الجندي شاليط وقتل رفاقه، بل، وقبل ذلك، تسليم محور فيلادلفيا الى رقابة أمنية للمصريين. أذكر ايضا أنه قد تم اقتطاع شديد من الوحدات الميدانية للجيش الاسرائيلي ومن تدريبات أفراد الاحتياط في فترة يعلون. وبالطبع يوجد لشاؤول موفاز، كوزير للدفاع، مسؤولية عن سوء الوضع هذا. ففي هيئة القيادة العامة ليعلون ظهر ايضا جميع أنواع «المتحذلقين» الا